بسم الله الرحمن الرحيم

العربيَّة من إطارها الأدبي إلى إطارها العلميّ

**

أستفتح بالذي هو خير، وأتوجَّه بالشكر أزكاه وأوفاه إليكم أيها السادة المجمعيون رئيساً ونائباً وأميناً وأعضاءً، فقد كان شرفاً عظيماً أضفيتموه عليّ أن شئتم لي أن أكون عضواً عاملاً بينكم. وتالله تفتأ تحسن الظنّ بي أيها الأستاذ الرئيس حتى لأكادُ أُحسن الظن بنفسي، وما أنا – يشهد الله – بذاك، ولكن إن يَكُ فيّ خيرٌ فمن أشياخي – وأنتَ منهم - قبسته، وأسأل الله أن يجزيهم ويجزيكم عني خير الجزاء. أما أخي الذي لم تلده أمي عبد الحافظ، فقد قطع عُنُقي بثنائه وأسبغ عليَّ من سرابيل ظنِّه الحَسَن ما لست له بأهل. وقد كنت أستمع إليه فأحسبه يتحدث عن إنسان آخر لا أكاد أعرفه، حتى تبيَّنتُ أنه كان يتحدث عني فأخجلني.

ولكنه ذكّرني بأنني أشرُف بالانتماء إلى جامعة دمشق، وأنني قضيت في رحابها طالباً فخرّيجاً، فأستاذاً، ثلاثين عاماً هنّ أجمل أيام العمر. وكان أشياخي فيها رعيلاً من العلماء الذين انقطعوا للعلم، ولكنهم آمنوا بأن هذا العلم يجب أن يكون بلغتهم وبمصطلحاتهم وألفاظهم.. لم يريدوه بلغة غيرهم.. ولو أرادوه لكان ذلك – في حساب المشقات والجهد – أيسر وأدنى، ورفضوا أن يكون بواحدة من هذه اللغات الأجنبية التي كانت تلقي بظِلِّها الثقيل هنا وهناك، على الحياة العربية الناشئة في الشام أو في العراق أو في مصر أو في غيرها من الأقطار العربية، واتّجهوا بهذا العلم شَطْرَ العربية حتى يزاوجوا بين اللغة والفكر، وحتى يجنِّبوا الأجيال الناشئة شرّ هذا التمزُّق بين لغةٍ نتحدث بها ولغةٍ نفكر فيها، وحتى يَفُوا للمُثُل التي صدروا عنها والإيمان الذي التزموا به.. ولذلك آلوا على أنفسهم أن تكون العربية

---

*

أداتَهم التي بها يكتبون حين يكتبون، ويفكّرون حين يفكرون، ويعلّمون حين يعلّمون.

وكان عملُهم هذا سعياً وراءَ الخروج بلغتنا العربية من إطارها الأدبي الذي تقوقعت فيه في فترة من الزمن، إلى إطارها الفكري والعلمي الذي يبيح لها أن تكون أداةً طيّعة في خدمة حضارة هذه الأمة، واستئناف مهمتها التي نيطت بها يوم أُخرِجَتْ للناس إخراجاً بإذن الله، لتُخرج من شاء من ضيق الدنيا إلى سعتها، وتستوعب حوض الحضارات باللسان العربي، وتتمثل ما رأته صالحاً من ثقافات الدنيا لتصنع منها حضارة بديلة جامعةً لما هو نافع من كل علم، ثم لم تلبث أن أخرجت شطأها واستغلظت، واستوت على سوقها وأعجبت! فالعلم ليس مُنشأة صناعية ولا مؤسسة بيروقراطية، ولكنه ينمو ويترعرع ويعيش بفضل علائق بني الإنسان وتعاونهم وتنافسهم... ولن يتأتى لهذه العلائق المتبادلة أن تكون، ما لم يساهم العالم العربي في تقدُّم العلوم، ولن يفعل ذلك ما لم يفكّر بلغته ويعلّم بلغته ويبحث بلغته، وإلا فسنبقى مستوردين للحضارة مكدِّسين لمنتجاتها إلى الأبد!

أضِفْ إلى ذلك أننا أصبحنا – في مطالع القرن الحادي والعشرين – نُوَاجَهُ بسيل مُنْهَمِر من المفاهيم الجديدة والمكتشفات الجديدة والمخترعات الجديدة، ولدينا أجيال كاملة عاجزة عن فهم أي لغة أجنبية، جرَّاءَ إخفاق طويل الأمد في السياسة التعليمية. هذه الأجيال لن تستطيع أن تكتسب من الثقافة العلمية العالمية اكتساباً صحيحاً كاملاً إلا ما يُنقل إليها معرَّباً، أي إن التعريب هو نافذتها الوحيدة للإطلال على العالم.

فكيف نفعل في ترجمة المصطلحات المبتكرة التي تعبّر عن هذه المفاهيم والمكتشفات والمخترعات؟ إننا نَكِلُها بحكم الواقع إلى فئتين اثنتين: فئة الإعلاميّين وفئة التعليميّين. والإعلاميون العاملون في الإعلام المقروء والمسموع والمرئي، هم أوّل من يتلقّف هذه الألفاظ، فيستفرغون طاقتهم ويبذل قصارى جهدهم في نحت المصطلح العربي المناسب. وذلك جهدٌ

محمود مشكور. وثَمَّة طائفة أخرى من الألفاظ لا داعي للسرعة في ترجمتها، وإنما يقوم بنحت مقابلاتها العاملون في التعليم على اختلاف مراتبه ولاسيَّما التعليم العالي.

أما مجامع اللغة العربية فليس من شأنها أن تضع المصطلحات ولا في مكنتها أن تفعل ذلك، ولكنها تضفي الشرعية على المصطلح بما تمثِّله من سلطان جماعي، وتُرسي قواعد وضع المصطلح بما يمكّن الإعلاميِّين والتعليميِّين من حُسْن التصرُّف في صوغ هذه الألفاظ المستحدَثة.

وقضية ((**السلطان الجماعي**)) هذه، قضيةٌ تطرقت إليها على عَجَل ولَمَسْتُها لمساً رفيقاً قبل خمس عشرة سنة، يوم تحدثت في مجمع اللغة العربية الأردني عمّا أسْمَيْتُهُ ((نظرية الضرورة العلمية)).

وإذا كان أخي الحبيب الأستاذ الجليل عبد الرحمن الحاج صالح قد أطنب في الحديث عن شيخيه الخليل وسيبويه، فليسمح لي أن أواكبه في التلمذة على هذين الشيخَيْن العظيمَيْن وأن استمدّ منهما أصول ما أريد الحديث عنه، وعلماء العربية كلُّهم عيال على الخليل وسيبويه!

فقد كان الخليل أوَّلَ مَنْ نبَّهَ، على أنَّ لهذه اللغة الشريفة أصلاً كان عليه بنيانها. وذلك وجهٌ من أهمِّ أوجُهِ عبقرية الخليل، وبُعْدٌ رائع من أبعاد ذهنيَّته الرياضية الفذَّة، تلك الأبعادُ التي لا نكاد نعرف لها مُجْتَمِعَةً نظيراً في عباقرة الأمم جميعاً. وقد كان للخليل - رحمه الله - فضلُ ابتكار هذا التصوُّر الذي تقيَّل ظلالَه علماء العربية مِنْ بعده. ويُخيَّل إليَّ أنه بفضل ذِهْنِهِ الرياضي الفَريد، قد قام بعملية استيفاءٍ راجعٍ مُدْهِشَة، تابَعَهُ فيها سيبويه ومن جاء بعده، وتوصَّلوا منها إلى صرح جميل كأنه ممرَّد من قوارير، لا ترى فيه عِوَجاً ولا أمْتاً، ولا تُحِسُّ فيه شذوذاً ولا خَلَلاً.

وهذا التصوُّر أشار إليه ابن جني في ((الخصائص)) [6/1] فقال: ((اعلم أن واضع اللغة لما أراد صَوْغَها، وترتيبَ أحوالِها، هَجَمَ بفكْره على جميعها،

ورأى بِعَيْن تصوُّرِهِ وُجوهَ جَمْلِها وتفاصيلها، وعَلمَ أنَّهُ لابُدَّ من رَفْضِ ما شَنُع تألُّفه منها..... فنَفَاه عن نفسه، ولم يُمْرِرْهُ بشيء من لفظه...)).

وبمثلِ ذلك قال خَلْقٌ من علماء العربية كثير. وكانوا ينطلقون دائماً من وجود هذا الأصل - الصَّرْح، الذي يتَّصف بالحُسْن والجمال، بل كادوا يَصِفونه كذلك بالكمال.

وكان من مكمِّلات تصوُّرهم هذا، وجوُد موقفٍ موحَّد يَقِفُه جميع واضعي اللغة، حتى عبَّروا عن ذلك - كما صنع ابن جني - بلفظ الواحد: ((واضع اللغة))... ((وذلك لأن العربَ وإنْ كانوا كثيراً مُنْتَشِرين، وخَلْقاً عظيماً في أرض الله غيرَ مُتَحَجِّرين ولا مُتَضَاغِطين، فإنهم بتجاوُرهم وتَلاَقيهم وتَزَاوُرهم يَجرونَ مَجرى الجماعة في دار واحدة...)). [الخصائص: 15/2].

وما كان لمثل هذه ((الجماعة اللغوية)) في نظرهم أن تَرْتَكِبَ خِلافَ الأوْلى.. ((وكيف كانوا يكونون في ذلك على ضعفٍ من القياس **والجماعةُ عليه؟! أفَتُجْمِعُ كافَّةُ اللغات على ضعف ونقص؟..**)). [الخصائص: 15/2].

* * * *

ولكن علماء العربية لم يلبثوا أن تبيّنوا أن ((واضع اللغة)) لم يكن من البلادة بحيث يضع اللغة ويستريح، وإنما هو ((واضعٌ نشيط حَرِك))، لم يعجبه أن يجمُد على ما توصل إليه من بنيان، وإنما أخذ يُهَنْدِمُه من هنا ويُشَذِّبُهُ من هناك، حتى يبلغ به غايةَ الجمال.

ولعل من أبرز ملامح هذه الظاهرة أي النحو باللغة منحى الجمال، ما يطلقون عليه طلب الخِفّة أو الاستخفاف، أو النأي عن الاستثقال.

واستمع إن شئت إلى ابن جني في الخصائص [125/1، 249] وهو يحدّثك عن شيخه أبي علي ((عن أبي بكر عن أبي العباس أنه قال: سمعت عُمارة بن

عَقيل يقرأ ((ولاَ اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارَ)) بالنَّصب. قال أبو العباس: فقلت له: ما أردتَ؟ فقال: أردتُ (سابقٌ النَّهارَ) فقلت له: فهلاّ قُلْتَه؟ فقال: لو قُلْتُه لكان أَوْزَن. ففي هذه الحكاية لنا ثلاثة أغراض مستنبَطة منها: أحدها تصحيحُ قولنا: إن أصل كذا كذا؛ والآخَرُ قولُنا: إنها [أي العرب] فَعَلَتْ كذا لكذا، ألا تراه إنما طلب الخِفَّة؟ يدلُّ عليه قولُه: لكان أوْزَن أي أثْقَلَ في النفس وأقوى، من قولِهِمْ: هذا درهمٌ وازن أي ثقيل له وزن؛ والثالث أنها [أي العرب] قد تنطق بالشيء: غيرُه في أنفُسها أقوى منه، لإيثارها التخفيف)).

((واعلم أن التضعيف مستثقَل.... وقومٌ من العرب إذا وقع التضعيف أبدلوا..)). [المقتضب: 381/1]

ومن أمثلة هذا العُدول عن الأصل لوجه الجمال أن الكوفيّين أجازوا قلب الياء الأصلية واواً، فأجازوا في تصغير شيخٍ ((شُوَيْخاً)) كما أجازوا قلب الألف المنقلبة عن ياءٍ واواً، كما في نابٍ و((نُوَيْب)) واستدلّوا على ذلك بأنه سُمِع ((بُوَيْضة)) تصغيراً لبيضة. وقالوا كذلك ((عُوَيْنة)) في تصغير العين. ولاشك في أن الكوفيّين قد جَنَحوا لذلك استخفافاً، لخفة النطق بالواو بعد الضمّة واستثقال النطق بالياء بعدها، إذ الضمة والواو أختان متجانستان، أما الضمة والياء فمتنافرتان.

* * * *

وهكذا تبيّن لعلماء اللغة، أن ثَمَّة نزوعاً دائماً إلى الخروج على الأصل ثم إلى الخروج عن القياس على الأصل، وتلك عملية طبيعية تزاولها الجماعة ويزاولها الأفراد، وتتجلى فيها حيوية اللغة. فإذا مارسَتْها العربُ جماعةً كانت مقبولةً على الإطلاق وحلَّتْ محلّ الأصل.. وإذا مارسها الأفراد كانت مقبولة في بعض الأحوال وأُطْلِقَ عليها اسم ((الضرورة)).

وإنما يحدث ذلك بآلية يُطلق عليها الخليل وسيبويه اسم ((التشبيه))، ويطلق عليها نحاةٌ آخرون اسم ((الحمل)). فكأن بنيان العربية نفسَه ليس ببنيان راكدٍ

خامل، ولكنه بنيانٌ متفاعلٌ حَرك. ففيه مستويات مختلفة من التعبير، تَتَواثَبُ بينها الكَلِمُ استجابةً لسَطْوَةِ الجمال أو سُلطان النَغَم، كتلك المستويات المختلفة من الطاقة في نواة الذرّة، تَتَواثَبُ بينها الذُرَيْرات من جرَّاء سَطْوَةِ طاقةٍ خارجية ترتفع بها من مستوىً إلى آخر، كما أن فيه ساحاتٍ كحقول الجاذبية، تجذِب البِنى المتشابهة بعضها إلى بعض.

وآلية الجاذبية هذه تراها مثلاً في ما ذكره ابن جنّي عند حديثه عن ((ديمة)) و((دِيَم)).. ((... إلى أن قالوا: دَيَّمَتِ السماء ودوَّمت؛ فأما ((دوَّمَتْ)) فعلى القياس وأما ((ديَّمَتْ)) فلاستمرار القلب في ديمة وديم... إلى أن يقول: ((حَمْلُه على الإبدال أقوى؛ ألا ترى أنه قد حُكِيَ في مصدره ((دَيْماً))؟ فهذا مُجْتَذَبٌ إلى الياء مُدَرَّجٌ إليها مأخوذٌ به نحوها)) [الخصائص: 355/1]. وإن شئت فاستحضر هذه الآلية نفسها في ((قوّم)) و((قَيَّم)).

فهذا الذي أسلفناه يبيّن خروج الجماعة اللغوية على الأصل لِوَجْه **الجمال**.

ولكن الجماعة اللغوية تخرج على الأصل أيضاً لوجه **الدقة العلمية**. ((وذلك أن العرب كما تُعنَى بألفاظها فتُصلحها وتهذبُها وتُراعيها وتلاحظ أحكامها، بالشعر تارةً، وبالخُطَبِ أخرى، وبالأسجاع التي تلتزمها وتتكلّف استمرارها، فإن المعانيَ أقوى عندها، وأكرمُ عليها، وأفخمُ قدْراً في نفوسها)). [الخصائص: 215/1].

ومن أمثلة ما عَدَلت به العرب عن الأصل، للتفرقة والفصل بين معنىً ومعنى، تصغيرُ الأسود (اللون) على ((أُسَيِّد)) والأسود (الحيّة) على أُسَيْوِد، وقالوا كذلك في العَلَم ((حَيْوَة)) تمييزاً عن ((الحيّة)) الثعبان، وقالوا في تصغير عيدٍ ((عُيَيْد)) ولم يقولوا ((عُوَيْد)) منعاً لالتباس تصغير ((عيد)) بتصغير ((عود)).

ومن هذا الضرب في القراءات قراءة أبي عمرو: ((وَمَنْ كَانَ في هذِهِ أعْمَى فَهُوَ في الآخرَة أعْمَى وَأضَلُّ سَبيلاً)) [الاسراء: 72] بإمالة ((أعمى)) الأولى. ((... وعلة أبي عمرو في فتحِه الثاني أنه اسمٌ في موضع المصدر، والأول ليس

بمعنى المصدر، **فأمال الأول وفَتَح الثاني للفرق**)) [الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب].

ومما يغيَّر لوجه **الجمال** تارةً ولوجه **الدقة العلمية** تارات: باب النَّسَب.

ففي ((اللسان)) [ح ر م] عن الأصمعي قال:

((والنَسَب في الناس إلى الحَرَم حِرْمي بكسر الحاء وسكون الراء، فإذا كان في غير الناس قالوا: ثوبٌ حَرَمي.. **وذلك للفرق الذي يحافظون عليه كثيراً ويعتادونه في مثل هذا**)).

ومثله في ((اللسان)) [و أ ب] عن ابن بري:

((المَرَئي منسوب إلى امرىء القيس على غير قياس، وكان قياسَه مَرْئي على وزن مَرْعيّ))، ولكنهم أخرجوه على هذا الوزن ليفرقوا بينه وبين ما يُرى.

وفي ((المُمْتع)) للنهشلي القيرواني [140، 145]:

((عن أبان بن ثعلب وكان عُرْبانياً عن عكرمة عن ابن عباس إلخ... قوله: ((عُرْبانياً)) فإن هذه الألف والنون تزادان في النسبة ليفرقوا بين العربيِّ اللهجة والعربيِّ النَسَب)).

ويلخِّص ذلك ابن السِّيد في «الاقتضاب»[222] بقوله ((المنسوب يَرِد خارجاً عن القياس كثيراً)). كما يقول المبرِّد في «المقتضب» [145/3]: ((واعلم أن أشياءَ قد نُسب إليها على غير القياس لِلَّبْس مرةً، وللاستثقال أخرى)).

* * * *

خلاصة القول أن الجماعة اللغوية تخرج عن الأصل لوجه الجمال تارةً، ولوجه الدقة العلمية تارةً أخرى، أو قُلْ: عنايةً باللفظ خَطْرةً، ومراعاةً للمعنى

خَطْرةً أخرى. حتى قال ابن السِّيد البطليوسي في «الاقتضاب» [281]: ((إن الأصول قد تُرْفَضُ حتى تصيرَ غيرَ مستعمَلة، وتُستعملُ الفروع)).

فأنتَ ترى قوَّة **السلطان الجماعي** في الخروج على الأصل، ومن أجل ذلك أزعم أننا بحاجة إلى مثل هذا السلطان في ما نحن بصدده.

* * * *

ما الذي يحدث الآن عندما يمارس الأفراد ما مارسته الجماعة؟

إن هذا هو الذي يطلقون عليه اسم ((الضرورة))، وهي تتجلى في اتجاهَيْن اثنَيْن: الاتّجاه الأول هو الخروج على الأصل اقتداءً بما فَعَلَتْهُ الجماعة اللغوية في بعض الأحوال، والاتّجاه الثاني هو العودة إلى الأصل ببعض ما أخرجته الجماعة اللغوية عن أصله.

يدلُّنا على الاتّجاه الأول بعضُ ما قال سيبويه [1:8-10]: ((اعلم أنه يجوز في الشعر ما لا يجوز في الكلام مِنْ صَرْفِ ما لا يَنْصرف: يشبّهونه بما يَنْصرف من الأسماء..... وحَذْفِ ما لا يُحذف: يشبّهونه بما قد حُذِف واستُعمل محذوفاً..... إلى أن يقول في شبه قاعدة [1/11-12]: ((وليس شيءٌ يُضطرّون إليه إلا وهم يحاولون به وجهاً)).

أما الاتّجاه الثاني في مسيرة الضرورة، فهو اتّجاه معاكس لعملية الخروج الجماعية على الأصل: هو ردٌّ إلى الأصل أو إجراءٌ عليه، يصدر عمّا أودعه الله سبحانه في سليقة الشاعر من تراث الجماعة اللغوية، فيجعله يعود إلى الأصل متهدّياً بهَدْي هذه السليقة. فمن كلام الخليل في ما يرويه سيبويه [2/59]: ((كما قالوا حين اضطروا في الشعر فأجروه على الأصل)) ومن كلام سيبويه [2/161]: ((واعلم أن الشعراء إذا اضطروا إلى ما يجتمع أهل الحجاز وغيرُهم على إدغامه أجروه على الأصل..... وهذا في الشعر كثير)). ومن كلام المبرِّد: ((الضرورة تَرُدُّ الأشياء إلى أصولها)) [المقتضب: 3/354]. والقاعدة في ذلك كما يضعها المبرّد: ((ويكفيك من

هذا كلــه ما ذكـرتُ لك من أن الشاعر إذا اضطُرَّ رَدَّ الأشـياء إلـى أصـولها)) [المقتضـب: 282/1]. وهـو قـد أمعن فـــي ذلــك حتـى أجـاز فـــي الضـــرورة الرجوعَ إلـــى الأصل مطلقاً وإن لم يَرِدْ به سماع.

وأنا أدعو إلى الاعتداد بهذيْن الاتجاهَيْن في ركوب الضـرورة، فـي سبيـل الحقيقـة والدقـة العلميـة، ولكنَّني أدعـو - كـذلك - إلــى أن تقــوم **الجماعــة اللغوية** بذلك - وهي لجان توحيد المصطلحات ثم المجامع واتّحاد المجـامع - فتستمدَّ الألفـاظ المولَّـدة علـى الضـرورة مـن **السـلطان الجمـاعي** قـوةً كقـوة الخارج على الأصل في ما أخرجته الجماعة اللغوية عن أصـله حتـى أصـبح أرسخ من الأصل وأثبت.

وهذا أمرٌ طال ما اقترحته تسهيلاً لصَوْغ المصطلح العلمي. وقد سـبق لـي أن ذكرتُ أنه لابُدَّ لنا من إعداد ما أسميته ((مقدّمات منهجية وضع المصـطلح العلمي وتوحيده))، وهي دلائل إرشادية ينبغي إعدادُها خيرَ إعداد، وجعلُها في متنــاول كـلِّ مَـنْ يريـد مزاولــة وضــع المصــطلح، ولاسـيَّما الإعلاميِّـين والتعليميِّين، لتكون دليلاً هاديـاً لـه فـي هـذا السـبيل، وقلـتُ إنـه لابُـدّ مـن أن تضـطلع بإعـدادها **سـلطة لغويـة جماعيـة** كاتحـاد المجـامع، أو مجمـع اللغـة العربية بالقاهرة بتكليف من اتحاد المجامع.

* * * *

وأهم هذه الدلائل الإرشادية - في نظري - كتابٌ يمكن أن نطلق عليه اسماً من قبيل ((المرشد في قواعد وضع المصطلح العلمي))، ونتَّفق على أن يشتمل على الأبواب التالية:

البـاب الأول: مجموعةٌ من المبـادئ أو القواعـد اللغويـة التـي يُستَرْشَـدُ بهـا بشكل عام، تُذكَر فيها القاعدة بأحرُف بارزة، مقتبسةً - إن أمكن - بنَصِّها من أحد علماء اللغة الأعلام، ثـم تـدوّن بالتفصـيل مسـوِّغات القاعـدة وتطبيقاتُهـا. فنأخـذ القاعدة **الأولى** مثـلاً من ابن فـارس: ((أجمـع أهــل اللغـة إلا مــن شَذَّ عنهم أن لِلُغةِ العـرب قياساً، وأن العـرب تشتـق بعـض الكـلام مـن بعـض))

[الصاحبي: 33]. ونأخذ القاعدة **الثانية** من أبي عثمان المازني: ((كلُّ ما قِيسَ على كلام العرب فهو من كلام العرب)) [الخصائص: 357/1]. ونأخذ **الثالثة** من ابن جني: ((الناطقُ على قياس لغة من لغات العرب مصيبٌ غيرُ مخطئ)) [الخصائص: 12/2] تكمِّلُها مقولةُ أبي حيّان: ((كلُّ ما كان لغة لقبيلةٍ قِيسَ عليه)). [الاقتراح للسيوطي: 93] ونأخذ **الرابعة** من السيوطي عن أبي حيّان: ((علّةُ الضرورة التشبيهُ لشيء بشيء أو الرد إلى الأصل)) [الأشباه والنظائر] تكمِّلُها مقولة المبرِّد: ((الضرورة تَرُدُّ الأشياء إلى أصولها)) [المقتضب: 354/3] وقولُه: ((قد يجيء في الباب الحرفُ والحرفان على أصولهما وإن كان الاستعمال على غير ذلك ليدلَّ على أصل الباب)) [المقتضب: 97/2]. ونأخذ القاعدة **الخامسة** حول التضمين من ابن جني: ((إن الفعل إذا كان بمعنى فعلٍ آخر، وكان أحدُهما يتعدّى بحرف والآخرُ بآخر، فإن العرب قد تتّسع فتوقع أحد الحرفَيْن موقع صاحبه)) [الخصائص: 408/2] تكمِّلُها مقولة ابن هشام: ((قد يُشربون لفظاً معنى لفظٍ آخر فيعطونه حُكمَه ويسمّون ذلك تضميناً)) [المغني: 185/2]. ونأخذ **سادسة** القواعد من أبي هلال العسكري: ((الكلمةُ الأعجميةُ إذا عُرِّبَتْ فهي عربية)) [التلخيص: 267/1]... وهكذا.

أما **الباب الثاني** من ((المرشد)) المقتَرَح، فيسوق القواعد المتعلقة بقياسية عدد من الصِيَغ، تسهيلاً للنسج على منوالها، وإن لم يَعْنِ ذلك الالتزام الصارم بها. وقد كان لهذا المجمع الموقَّر فضلُ السبق في إقرار عديد من هذه القواعد والصِيَغ وإصدارها منجَّمةً، مثل صيغة فُعَال، وفَعَل، وفَعُول، وفِعَالة، وفَعالة، وفُعولة، وفعّالة، وفاعلة، وتَفْعال، ومثل السين والتاء للاتّخاذ والجعل، ولحوق التاء لاسم المكان، وتوهم الحرف الزائد أصلياً، وجواز الاشتقاق من أسماء الأعيان، وقياسيّة المصادر الصناعية، وجواز استعمال ((لا)) مركبة مع الاسم، وقياسية التعدية بالهمزة، وجواز جمع المصدر عندما تختلف أنواعه، وقواعدَ غير ذلك كثيراً.

والحاجة تدعو الآن إلى دَرْج هذه القرارات مرتّبةً، في باب واحد من أبواب هذا المرشد، تشتمل فصوله على البحوث التي كتبها عدد من العلماء الأجلاء توطئةً لهذه القرارات.

ويؤلّف **الباب الثالث** من ((المرشد)) المقتَرَح دليلاً بالأحوال التي يجوز فيها الخروج على مألوف اللغة **للضرورة العلّميّة**: كأن نجيز مع البصريّين صَرْفَ ما لا ينصرف وقَصْرَ الممدود، ونجيز مع الكوفيّين تَرْكَ صَرْفِ ما ينصرف ومدَّ المقصور.. وهكذا، مع إتْباع كلِّ رُخصة من هذه الرُّخَص ببحث يسوِّغُها. وهذه الضرورات التي تبيحها الجماعة اللغوية تمثّل عوناً ثميناً لكل من دُفِع إلى مَضَايقِ المصطلح العلمي.

أما **الباب الرابع** فيضمّ ُ قائمة بالسوابق واللواحق، يُراعى قَدْرَ الإمكان أن تكون مستَوْعِبَة، ويوضع فيها بين قوسين اسمُ الحقل الدلالي أو الحقول الدلالية التي تعود إليها كلُّ سابقة أو لاحقة، ولاسيَّما إذا كان ثَمَّة اشتراكٌ في اللفظ واختلافٌ في المعنى.

ويضمُّ **الباب الخامس** قائمة تشتمل على الرموز والمختصرات بالعربية، وطُرُق ترجمة المختصرات الأجنبية إلى العربية. وهو باب تَمَسُّ الحاجة إليه في هذه المرحلة.

* * * *

وممّا يُعَدُّ أيضاً من مقدمات المنهجية ويساعد الذين يزاولون صَوْغ المصطلح العلمي، كتاب يشتمل على عشراتٍ بل مئاتٍ من **القوائم الدلالية** في كل فرعٍ من فروع العلم، تضمُّ كلٌّ منها أسرةً دلالية واحدة، وتُجَنِّبُ العلماءَ استعمال اللفظة الواحدة لأكثر من مسمًّى في الحقل الدلالي نفسه.

كذلك يُعَدُّ من هذه المقدمات كتيّبات تُجَرِّد المصطلحات المتوافرة في كتب التراث العلمي لا تُحَاشِ المعاجم· فهذا أبو عمرو بن العلاء - وهو كما يقول

ابن سلام في طبقات فحول الشعراء [14/1] - ((أوسَعُ علماً بكلام العرب ولغاتها وغريبها))، يقول: ((ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقلُّه، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علمٌ وشعرٌ كثير)) [طبقات فحول الشعراء: 25/1].

وكَأيٍ من لفظة أجنبية أعيانا العثور على لفظة من بابتها في ما بين أيدينا من معاجم، ثم عثرنا عليها عَرَضاً في تضاعيف أحد الكتب، أو في غير مَظِنَّتها من مواد المعجم، فقلنا لأنفسنا: وَيْ كأنّ هذه اللفظة لم تُخْلَق إلا لمثل هذا المعنى الذي نبحث عن اسم له !

ويعجبني ما رواه ابن منظور في ((اللسان)) [في مادة «ب خ ع»] عن ابن الأثير: ((وطال ما بحثت عنه في كتب اللغة والطب والتشريح، فلم أجد البخَاع بالباء مذكوراً في شيء منها)). فكتب الطب والتشريح إذن بعضُ مَظانِّ ابن الأثير إلى جانب كتب اللغة.

* * * *

وبعد، فأنا أعتذر إليكم من عرض هذه الأمور في حفل استقبال، ولكن عُذري أن الزمن سبَّاق، وأنَّ ركْبَ العلم الحثيثَ السير لن يبطئ من إيقاعه في انتظار المتريِّثين، وأنكم الأمل الباقي لهذه الأمة في تَبْوئة لغة التنزيل مبوَّأ صدق في مسيرة العلم والحضارة.

واسمحوا لي أن أستعيد في ختام كلمتي، ما قاله أخي الحبيب الأستاذ الدكتور شكري فيصل رحمه الله، وهو يرحِّب بي عضواً في مجمع دمشق سنة ست وسبعين:

((..إنها ظروف قاسية، تطارد فيها رائحة الدم كل وشائج القربى، وتغيب في الساحات العربية العقيدةُ الجامعة، ويُنسَى التاريخ المشترك، وتغطي العيونَ غشاواتٌ من الأهواء تحول بيننا وبين رؤية المصير الأليم الذي ننزلق فيه أو نوشك!

((لم يَبْق من نسيج الحياة العربية الموحَّدة إلا هذه الخيوط من اللغة، وما تقود إليه وحدة اللغة من وحدة الفكر والتطلُّع..

((وحتى هذه اللغة يحتاطها كثيرون من الذين لا يؤمنون بها، والذين يكيدون لها، والذين يجهلون أو يتجاهلون الأبعاد البعيدة لآثارها..

((لم يبقَ إذنْ في ساحات العمل المثمر – في هذه الغَمَرات – إلا هؤلاء الذين يؤمنون بلغتهم على أنها المعبَرُ الوحيد للإيمان بالوجود العربي، والحفاظ عليه، والدفاع عنه)).

والسلام عليكم ورحمة الله.

* * * * *